جامعة تكريت

كلية التربية للعوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة : نظرية الأدب

المرحلة : دكتوراه أدب

عنوان المحاضرة

نظريات القراءة والتلقي ج2

أ.د. نرجس خلف أسعد

أنواع القراءة

تمثل القراءة القطب الأول من النظرية ، فالقراءة ركن أساس في أي عمل أدبي ، والقراءة لا تعني أن يقوم القارئ بشرح النص أو البحث عن معانيه المعجمية ، ولا هي تلك القراءة التي نطلق من خلالها الأحكام بقبولنا لهذا النص أو رفضنا له ، بل أصبحت القراءة حواراً بين القارئ والنص له أسسه وشروطه ومبرراته واستراتيجياته وهو ((حوار ينحو منحى التأويل ، ولكن النص ليس مفتوحاً على كل تأويل ، لأنه عندئذٍ يفقد سلطته بوصفه نصاً . إنه حوار له شروطه الثقافية والفكرية والجمالية ، شروط تتعلق بمعرفة اللغة وانزياحاتها الموحية ، وثقافة القارئ المؤول ، وبقواعد اللعبة النقدية . إنه حوار بين خطابين : خطاب أدبي وآخر نقدي قد يتفوق الخطاب الثاني على الأول ، وقد يساويه أو يوازيه ، وقد يهبط عنه ، وفقاً لقدرة القارئ وخبراته اللغوية والجمالية ، واستجاباته القرائية))[2] ، بل باتت القراءة تمثل إنتاجاً فعلياً يقوم القارئ بإنتاجه من خلال تعدد القراءات للنص الواحد ، ذلك أن ((تعدد القراءات هو منبع الانفتاح الدلالي ، وطالما طرحت مشروعية التعدد انطلاقاً من مسألة خلود النص الأدبي ، بيان ذلك أن الأثر الأدبي لا يخلد لأنه فرض معنى وحيداً على قراء مختلفين ، وإنما لكونه مصدراً لتعدد التأويلات ، والقراءات عند الفرد الواحد ..... إن تعدد النص هو الذي يكفل بقاء النص متدفقاً عبر الأجيال لقدرته الداخلية على المساءلة ، والمساجلة التي تفضي إلى تحريك دلالة النص ، وتفجيرها في فضاء دلالي متجدد .))[3]

تعددت القراءات بتعدد القراء واختلفت باختلاف ثقافاتهم وأمزجتهم، فالقراءة لا تأتي من فراغ ، بل هي حصيلة خبرات وثقافات متراكمة ، وبتعدد القراء تعددت القراءات ، فبات النقاد يتحدثون عن قراءة أولى وثانية وثالثة ، وقراءة منتجة وقراءة غير منتجة ، وقراءة ساذجة وأخرى مركبة ، وقراءة واعية ولا واعية ..... ، ونقف هنا عند أبرز أنواع القراءات التي يمكننا أن نعدها الأساس الذي تعتمد عليه جميع أنواع القراءات الأخرى .

---

(2) استراتيجيات القراءة ... التأصيل والإجراء النقدي ، د. بسام قطوس ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 / د.ت /19

(3) حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي ، د. عزيز محمد عدمان ، مجلة عالم الفكر ، ع 3 ، مج 37 ، يناير – مارس ، 2009 / 79 .

– القراءة الأولى (القراءة الساذجة)

ويسميها البعض بالقراءة الساذجة أو القراءة غير المنسجمة ، وتعد القراءة الأولى البوابة التي يلج فيها القارئ إلى النص ، وهي قراءة استكشافية يطلع فيها القارئ على الخطوط الرئيسة للنص . والقراءة الساذجة قراءة لها أهميتها وتأثيرها على النص ، وعليه ((لا يصح أبداً الانتقال إلى أية مرحلة قرائية باتجاه القراءة المركبة من دون حصول القراءة الساذجة التي تزود القارئ بالمتعة والسحر وتدخله في قلب اللعبة ، وتقربه من فتنة القراءة ، وتدعم استعداده للمواصلة والاستمرارية والرغبة في الاكتشاف والبرهنة وتعرية النص وكسر تحفظاته واستباحة حرماته))[2]. القراءة الساذجة هي القراءة الأولى التي يستقبل بها النص حين ظهوره لجمهور القراء .

القراءة الثانية (المركبة)

بعد أن نتجاوز القراءة الأولى (الساذجة) نصل إلى مرحلة ولوج النص واستكشاف طبقاته والحفر في أعماقه ، وهذه المرحلة لا يقوم بها القارئ العادي ، بل يقوم بها القارئ المتمكن من أدواته وآلياته المعرفية النقدية – أي الناقد – الذي يواجه النص بكل ما يملك من طاقة وأدوات للاختراق والمواجهة ، مع احتفاظ النص بحقه في الدفاع والمراوغة والمخادعة لإيهام القارئ وإفشال خططه في اقتحامه ، وهذا الاقتحام والتمكن من النص لن يتم حتى تنجح القراءة في ((تحقيق التواصل المطلوب بين القراءة الساذجة والقراءة المركبة))[1] . إن تعدد القراءات يساعد القارئ في الوصول إلى قراءة معمقة يتعرف فيها القارئ في كل قراءة على معنى جديد .

أنواع القراء

تحدثنا عن القطب الأول في نظرية التلقي (القراءة) ، والحديث عن القراءة يجعلنا في مواجهة مع القطب الثاني في النظرية (القارئ / المتلقي) ، الذي لا قيمة للعمل الأدبي من دونه، فالقراءة تعني وجود ذات قارئة . هذه الذات باتت محور العملية النقدية ، فلم يعد المؤلف

---

(2) شيفرة أدونيس الشعرية ... سيمياء الدال ولعبة المعنى ، محمد صابر عبيد ، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت ، منشورات الاختلاف – الجزائر ، ط1 ، 2009 / 34 .

(1) شيفرة أدونيس الشعرية ... سيمياء الدال ولعبة المعنى / 15 .

المهيمن في الساحة النقدية – كما رأينا عند أصحاب المناهج السياقية – ، ولا النص الذي تشدد البنيويون في تمليكه جميع الحقوق والامتيازات في العملية النقدية ، بل بات القارئ هو ((الذي يحتل النص ، ويكشف فجواته ، أو ثغره أو فراغاته ، وهو الذي يسد عيوبه ويكمل نقصه ، فهو الفاعل والنص مفعول به))[2] فعملية القراءة ليست عملية أحادية الجانب ، بل هي نتيجة حتمية ((لالتقاء وعيين : وعي القارئ : ووعي المؤلف))[3]، فالمؤلف حينما يكتب يضع أمامه قارئاً من نوع خاص يكتب له ويوجه حديثه إليه ، فهو يكتب لجمهور يقرأ ، ينتظر منهم ردة فعل على ما يكتب ، لأنه – أي – المؤلف لم يعد ذلك المتحكم بالمقابل يلقي عليه ما يشاء ويوجه ما يريد ، بل أصبح هناك قارئٌ متيقظٌ لم يعد يستلم ما يلقى عليه ، بل أصبح قارئاً مشاغباً يعاكس النص ويراوغه ، فالسلطة باتت بيد القارئ لا المؤلف ، إذ ((كنا قديماً نقول إن (المعنى في بطن الشاعر) غير أن زماننا هذا سرق المعنى من بطن الشاعر ووضعه ناراً حارقة في بطن القارئ . لقد انكسرت مركزية المعنى ومركزية الذات الأولى التي تحتكر المعنى ، وصار المعنى مبعثراً على وجه النص ينتظر قارئاً ما لكي يلتقط مفرداته الأولى وينظم منها شجرة دلالية))[4] .

تحدث إيزر عن أنماطٍ من القراء سنكتفي بذكر أربعة منها .

- **القارئ الأعلى**

وهو عند ميشيل ريفاتير " مجموعة من المخبرين " الذين يلتقون دائماً عند النقط المحورية في النص ، ومن ثَمَّ يؤسسون وجود " واقع أسلوبي " من خلال ردود أفعالهم المشتركة . والقارئ الأعلى مثل أداة استطلاع تستعمل لاكتشاف كثافة المعنى الكامن المُسنن في النص[2] . وهو عند رومان انجاردين (القارئ النموذجي) [3]. وهو عند رولان بارت القارئ الاستحواذي ((الذي تكون له لذة الحرف ، واللغات الثانية ، المقتلعة ، واللغات الواصفة " وتجمع هذه الطبقة كل عشاق اللفظ ، واللسانيين ، وعلماء الإشارة وفقهاء اللغة "))[4] ، وهذا الناقد هو " ناقد مثالي حقيقي نموذجي " فهو القارئ الذي

---

(2) جماليات الشعرية / 115 .
(3) مدخل الى مناهج النقد الأدبي ، مجموعة من الكتاب ، ترجمة رضوان ظاظا ، مراجعة د. المنصف الشنوفي ، سلسلة عالم المعرفة ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، آيار ، 1997 / 135 .
(4) تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط2 ، 2005 / 103 .
(2) فعل القراءة / 24 .
(3) ينظر : جماليات الشعرية / 316 .
(4) لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة د. منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط2 ، 2002 / 103 .

يضعه المؤلف في الحسبان ويحاول أن يجتذبه الى نصه ، وقد وقف عنده أمبرتو إيكو مطولاً واشترط فيه عدداً من الشروط [5] التي تجعل منه كفوءاً وفاعلاً ومنتجاً .

- القارئ المخبر

طور ستانلي فيش هذا المفهوم ، والقارئ المخبر الذي لايهتم بالمتوسط الإحصائي لردود أفعال القراء أكثر مما يهتم بوصف معالجة النص من طرف القارئ ، ولهذه الغاية يجب أن نستوفي بعض الشروط ، وهو ليس شيئاً مجرداً ، ولا قارئاً حقيقياً حياً ، لكنه هجين ، إنه قارئ حقيقي (أنا) الذي يعمل كل ما في استطاعته ليجعل نفسه مخبراً [6].

- **القارئ المقصود**

يعيد وولف فكرة بناء القارئ الذي يقصده المؤلف ، وهذه الصورة يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة حسب النص المتناول قد تكون هي القارئ المؤمثل من خلال توقع معايير وقيم القراء المعاصرين ... ، وهكذا فالقارئ المقصود باعتباره قاطناً تخييلياً في النص ، لا يمكن أن يجسد بحسب مفاهيم وتقاليد الجمهور المعاصر ، بل أيضاً رغبة المؤلف سواء في الارتباط بهذه المفاهيم والاشتغال عليها ، أحياناً يصفها فقط وأحياناً يعمل وفقها [1].

- **القارئ الضمني**

وهو القارئ الذي يضعه المؤلف في الحسبان حين يكتب نصه ، فهو يشاركه في بناء النص ، ويسميه البعض" بالقارئ المضمر "((الذي يخلقه النص لنفسه ويعادل شبكة من أبنية استجابة ، تغرينا على القراءة بطرائق معينة))[2] . ميز إيزر بين ثلاثة أنماط من القراء المعاصرين ((أحدهم حقيقي وتاريخي ، مستخلص من الوثائق الموجودة ، والنموذجان الآخران افتراضيان : الأول مركب من المعرفة الاجتماعية والتاريخية للفترة المعنية ، والثاني مستنبط من دور القارئ المرسوم في النص)) [3].

---

[5] ينظر جماليات الشعرية / 317 .
[6] فعل القراءة / 25 -26 .
[1] فعل القراءة / 25 -26 .
[2] النظرية الأدبية المعاصرة / 171 .
[3] فعل القراءة / 22 .

تقوم نظرية إيزر على مبدأ أساس يقوم على وجود فراغات في النص يجب على القارئ أن يقوم بملئها وإعادة إنتاج النص من خلال عملية القراءة التي تتنوع على وفق قوانين النص والأعراف الأدبية لكل جنسٍ أدبي . وعليه تبقى القراءة هي الحيز الذي يربط بين النص والقارئ ، وبما أن القارئ متعدد وليس واحداً ، فهناك قراء آخرون يملئون فراغات النص كلاً بحسب أسلوبه وثقافته ورؤيته الخاصة للنص .

أفق التوقع

يحاول القارئ دائماً أن يستبق الأحداث ، ويتجاوز لحظته التي يعيش فيها لاكتشاف ما يخفى عليه ، وفي قراءة النص الأدبي نحاول استباق الأحداث وتوقع ما يخفى علينا منتظرين أن تصدق توقعاتنا ، وذلك ما نحصل عليه عند خاتمة النص ((فالأثر الفني في احتكاكه مع أفق المتلقي ، يكون مجرد استنساخٍ لأفق انتظار القارئ ، عندما يعمل على رعاية المعهود في مستوى الجنس الأدبي والصورة والأسلوب والتركيب ،..... أما عندما يخرق الأثر الفني النموذج المألوف ، ويبتكر لنفسه نمطاً جديداً في الصياغة والأسلوب ، فإنه يصطدم بأفق انتظار القارئ ، ويفرض عليه أن يغير من أفق انتظاره ، أو يعدل منه في اتجاه الاستجابة لمقتضيات الوقع التي يفرضها الأثر ..))[1]. هذه الحركة يفرضها أفق التوقع على النص الذي يبقى ساكناً من دون حراك ((لأن النص آلة جامدة لا تنشط إلا حين تنفخ فيها الحياة تكهنات القارئ))[2] ، هذه التكهنات والتوقعات هي التي تساعد في إغناء النص وسد ثغراته التي يتركها المؤلف ، إما اختصاراً للأحداث، بحيث يترك للقارئ تصور تسلسل الأحداث بحسب ثقافته وخلفيته القرائية ، وإما تشويقاً وتحفيزاً للقارئ على تصور ما سيحدث ، فاللغة ليست كل شيء في النص لأن ((فاعلية النص لا تعتمد على البلاغة فحسب ، إذ يجب على الناقد أيضاً أن يأخذ بالحسبان توقعات القارئ .... ويمكن تحطيم هذه التوقعات أو تعديلها ، أو التفوق عليها أو خداعها بحيث

---

(1) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي ، د. محمد إقبال عروي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع3 ، مج 37 ، يناير – مارس ، 2009 / 47 .

(2) نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها / 71 .

يواجه القارئ شيئاً ما غير متوقع يستلزم تعديله ثانية .. وهو ما يطلق عليه هنري جيمز " توسيع الخبرة "(([3].

يعمل النص على تحصين دفاعاته ، وتعزيز قدراتها وتحفيزها ضد أي سلطة أو قوة قرائية تحاول خرق هذه الدفاعات ، لأن ((انفتاح حقل المقروئية أمام اندفاع حيوات القراءة يحرض النص على المقاومة عبر طي بعض طبقاته وإخفائها ، على النحو الذي يضاعف مهمة القراءة في تعضيد أدواتها وآلياتها لاستكناه الطيات ومناطق الإخفاء)[4]. ذلك أن النظرية تقوم على إضاءة المخفي والمعتم من النص ، من خلال تعدد القراءات وتعدد القراء وملء الفراغات وبناء أفق للمتلقي قد يتوافق مع أفق النص وقد لا يتوافق . فالقارئ يضع مجموعة من الاحتمالات والتوقعات عند قراءته للنص الأدبي ، وذلك اعتماداً على مرجعيته التاريخية أو الثقافية ، وعليه سوف نحصل على مجموعة من الاحتمالات والتوقعات التي يحاول من خلالها القارئ ملء فراغات وفجوات النص

أحياناً يسلم القارئ بوجهة نظر واحدة يلزم نفسه والنص بها على حد سواء ، وأحياناً يكسر النص أفق توقع القارئ ، فيخلق هذا إحباطا عند القارئ ، وأحياناً يكتفي بقراءة واحدة وبما أملاه عليه النص من توقعات ، وهذا يجعل النص جامداً لا حياة فيه وهو ما يخالف أهم صفة من صفات العمل الأدبي الخلاق ، أي ((صفته التجديدية بأن يغير من أفق انتظار القارئ الأدبي))[1] ،وعليه يمكننا أن نحدد مفهوم أفق التوقع بأنه ((منظومة من المعايير والمرجعيات لجمهور قارئ في لحظة معينة يتم انطلاقاً منها قراءة عمل وتقويمه جمالياً))[2] وفي هذه الحالة نضمن للنص الاستمرارية على مر العصور .

---

[3] القارئ الضمني .. أنماط الاتصال في الرواية من بينيان إلى بيكيت ، ولفكاتك آيزر ، ترجمة : هناء خليف غني الدايني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2006 / 13 .

[4] شيفرة ادونيس الشعرية / 60 .

[1] نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها / 116 .

[2] في نظرية التلقي ، جان ستاروبنسكي – إيف شيفريل – دانييل هنري باجو ، ترجمة غسان السيد ، دار الغد ، دمشق – سوريا ، ط 1 ، 2000 / 95 .